

المصباح

١٣١٥

مصر في يوم السبت ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣١٧ الموافق ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٩٩

﴿ ماذا نعمل ﴾

كثير الخوض في هذه الايام . في شؤون المسلمين والاسلام . فكتب في الجرائد الكاتبون . وخطب في محافل الجمعيات الخاطبون . أما الجرائد فقد غلب على كل منها ما يناسب وجهتها ويوافق مشارب ذويها . والمنار لم يختلف رأيه في هذه الاثناء - أثناء خوض الجرائد في مباحث الجامعة الاسلامية - عن رأيه الاول الذي قام يدعو اليه منذ أنشئ وهو انه لا يعود للاسلام مجده ويرجع الى أهله عزم الا بتعميم التعليم الصحيح والتربية العملية على ما يرشد اليه هدي الدين الذي كان عليه السلف الصالح وان هذين الامرين يتوقفان على أمور كثيرة منها ازالة البدع والرجوع الى كتب الأئمة الاولين في اللغة والدين . والاخذ بكتب أهل هذا العصر في العلوم الدنيوية . وقد بينا في السنة الماضية ان الاصلاح المطلوب لا بد لتعميمه من وجود جمعية اسلامية عامة يكون مقرها في مكة المكرمة ولها شعب في سائر البلاد الاسلامية وبيننا وظيفة هذه الجمعية وأعمالها - مبادئها وغايتها . وقلنا ان الرجاء فيها ضعيف الآن ولكن لا بد ان توجد متى استعدت الامة لايجادها

وزالت الموانع التي تحول دونه، ومن الأسف ان هذا الفكر قد لمب في
الأذهان فتلاعبت به الخيالات حتى أبرزته في صورة غريبة فطفق الكتاب
يطلبون انشاء مؤتمر اسلامي في الاستانة العلية وزعموا ان مجد الاسلام
وحياته تنط بهذا المؤتمر . ولا يقول هذا القول الا من انفصل عن عالم
الوجود فلم يعلم مايجوز فيه وما لايجوز وزج بنفسه في عالم خيالي يجوز
المحال . ويصور نيل مالا ينال . ولا حاجة للاستدلال على ان انشاء المؤتمر في
الاستانة لا يكون ولكن كان فانه يضر ولا ينفع . وانما نقول شيئاً واحداً وهو
ان سيدنا ومولانا السلطان الاعظم لا يرضى بانشاء هذا المؤتمر في عاصمته
تحت رأسته ومما يصح ان يستدل به على هذا عدم دعوة جرائد الاستانة اليه
واستحسانها له مع علمها بما كتبت الجرائد الاخرى فيه . وأسأل حضرة
الكاتب الذي ماقتي يتوه به ويشيد . ويبدى القول ويعيد . ان يكتب
مقالة في المسئلة لاحدى جرائد الاستانة المعتبرة ليعلم ما يكون من شأنها فيها

وأما الجمعيات فالمشهور منها في مصر ثتان جمعية (شمس الاسلام)
وجمعية (مكارم الاخلاق) وهناك جمعيات اخرى تقتضي حالها عدم التنويه
بها . فأما جمعية شمس الاسلام فقد ابتدأت بالترية الصحيحة والتعليم
القويم فضمت اليها المدرسة التحضيرية التي أسسها أحد أعضائها كما ذكرنا
هذا من قبل وعهدت الي كاتب هذه السطور بقراءة درس ديني عام للاعضاء
(انظر باب التربية والتعليم) وأما جمعية مكارم الاخلاق فلم تزل وعظيمة
محضنة يحشر اليها الناس في كل ليلة جمعة يسمعون الخطب التي تشرح لهم مجد
الاسلام الفابر وهوان أهله الحاضر وتزجرهم عما فشا فيهم من الفواحش
والمنكرات . وتحثهم على عمل البر والمحافظة على الصلوات . لا يقال ان هذه

الامور . معلومة للجمهور . فالكلام فيها لا يفيد غير التجديد لذي الفصاحة .
 والتأفف من صاحب المي والفهاهه . فان الذكرى نفع المؤمنين . وللخطابة
 شأن في نفوس السامعين . نعم لا مندوحة لمن يتكلم في ادواء الاسلام . عن
 شرح العلاج الحقيقي العام . وقول أولئك الخطباء . عليكم بالاتحاد والاخاء .
 واعتصموا بالوفاق والوثام . واحذروا من التنازع والحصام . وما أشبه هذه
 الاقوال . التي يلو كها كل قوال . - هي كلمات مجمله . وفي نظر الجمهور كالمهمله .
 لانها لا ترشد الى عمل معروف . ولا تهدي الى الوقاية من مصارع الخوف .
 ذكرت في المنار الذي قبل هذا اني خطبت القوم في تلك الجمعية خطبة في
 الترية وما حماني على اجابة دعوة الداعي الى الخطابة الا ان أحد الخطباء
 تكلم عن فساد الامة وأظن في شرح حال الفحش وتهتك النساء في الشرق
 بعد انتشار الغربيين في بلاده ثم قال وأما علاج هذا البلاء ودواء هذه
 الادواء (فكلكم تعرفونه) والصواب انهم انما يعرفون الداء الذي شرحة لانهم
 هم المتلبسون به كما قال ولو عرفوا الدواء لعرفوا ان فيه سعادتهم ومن عرف
 معرفة صحيحة ان في شيء ما سعادة له فان ارادته تبعثه للعمل به طبعاً كما
 بيناه في مقالة (تأثير العلم في العمل) وقد أحببت ان اكتب ملخص ما بقي
 في ذهني من تلك الخطبة اجابة لطلب من استحسناها وهو
 أيها الاخوان - تكلم الخطباء الافاضل في أمراضنا الروحية . وأدواتنا
 الاجتماعية . فلم يدعوا مقالا لقائل . ولا مجالاً لجائل . مثلوا الداء للانظار حتى
 كاد يحس . وصوروه حتى تخيلت انه يلمس . فبقي علينا ان نتكلم في العلاج .
 ونشرع له أقرب منهاج . (أشرع الطريق بيته) وليس من قصدي الخطابة
 وانما احب ان أقول كلمات ثلاث . أيين بها ماذا يجب علينا ان نعمله لارجاع

مجدنا . أثار هذه الكلمات في نفسي قول الخطيب الشاذلي (كلكم تعرفون الدواء) وربما يكون قالها لتوجيه نفوسكم للبحث في هذه المسئلة المهمة أو لمدم ايقاعكم في وهدة اليأس ولا اخاله يعنقد ان علاج الامم . يأخذها الكافة من أمم (قرب) . يصاب احدنا بوجع في اصبمه أو يخرج دمل في عضونه أعضاءه فيحار هو والناس في معالجته . فاذا عسى ان يقال في معالجة أمة عظيمة يزيد عديدها عن الثلاثمائة مليون وقد مرّ عليها ثلاثة عشر قرناً ونيف وتبوات كل ارض وتكلمت بلغات كثيرة وحكمت من أمم ودول متعددة وطراً عليها من البدع والاهواء ما لم يطرأ على سواها . فهل يقال ان ارجاع مجدها اليها يعرفه كل احد ؟ كلا ان علاج مثل هذه الامة امر كبير لا يعرفه الا الحكماء والراسخون في العلم وقليل ما هم . كتبنا وكتب الكاتبون وقلنا وقال آخرون . والبحث لم يزل في أوله والجاهير لم يزل تتخبط في دياجير الحيرة وتهم في اودية المشكلات . يقال انكم عليكم بالاخاء عليكم بالانحاد وما ايشبه هاتا . وهذا كلام اجمالي يخرج كل سامع له غير عالم بما يطلب منه وما يجب ان يأخذ به . ولهذا احببت ان أختصر القول بثلاث كلمات ليعيها الواعون ويعمل بها الموفقون . وهن بيان ما لما اجمله الخطباء والكتّاب في قولهم اتنا لا يرجع الينا مجدنا الا بالدين . الكلمة الاولى كيف تربي انفسنا تربية دينية صحيحة والثانية كيف تربي نساءنا والثالثة كيف تربي اولادنا فهذه هي الفرق التي تتألف منها الامة

تربية الكبير امر عسير جداً لان مناشيء العمل من العقائد والاخلاق والصفات تكون راسخة فيه بالعمل يصعب اقتلاعها واتزاعها وبيان هذا ان الانسان اذا عمل عملاً يحدث لعمله اثر مخصوص في مركز مخصوص من

دماغه وكلما اعاد العمل يقوى الاثر حتى يصير المركز العصبي هو الذي يتبته لذلك العمل ويزعج الاعضاء لفعله كلما جاء وقته او عرض سببه فيندفع الانسان لفعله بلا روية ولا تكلف وهذا هو الذي يسمى الخلق والملاكمة . ثبت هذا التدقيق في الفلسفة الجديدة ويشير اليه الناس بقولهم العادة طبيعة خامسة . الاعمال هي التي تطبع الملكات والاخلاق في النفوس . والاعمال التي يندفع اليها المرء بطبيعته من غير تكلف انما تنبعث عن الملكات والاعتقادات الراسخة المترجة بالنفس وهي التي عليها مدار السعادة والشقاء . لولا ان الانسان خلق قادراً على التكلف بالعمل على خلاف مايقضيه خلقه وعادته لكانت تربية الكبير متعذرة ولاستحال ان يصلح من خلل . او يرجع عن زلل . ولكن العاقل اذا ثبت عنده شرعاً أو عقلاً ان شيئاً مما اعتاده وتخلق به مضر له في دينه أو دنياه يمكنه ان يتكلف ترك العمل الذي ينشأ من تلك المادة أو الخلق ويتكلف العمل بضدها واذا واظب على هذا التكلف زمناً طويلاً يضعف الخلق الاول وينشأ له خلق جديد . لا أنكر انه لا يقدر على هذا العمل كل انسان . لا يقدر عليه الأرباب الفطرة الزاكية والهمة العالية والعزيمة الصادقة . ولا بد من الاستمانة عليه بأمرين أحدهما كثرة المذاكرة في قبج القبيح الذي يريد تركه وحسن الحمن الذي يحاول استبداله به . وثانيهما ان يجعل بمض اصدقائه مهيمنا ورقيبا عليه ويأذن له بان يذكره اذا نسي ويؤنبه ويعتفه اذا اخل بما التزمه من ترك الرذيلة والتلبس بالفضيلة . من يرضى منا ان يوصف بضعف الاستعداد الفطري للخير ؟ من يرضى ان يرمى بوهن العزيمة ؟ من يرضى ان يعمز بقلة الهمة ؟ لا يرضى احد منا بهذه المثالب . فلي كل منا ان يجعل مرمى نظره

وقبله عزيمته تهذيب نفسه وتركيتها والحاقها بنفوس الكملة . ان صح منك الهوى ارشدت للحيل . متى شرعنا في العمل يفتح في وجهنا باب العلم بنفوسنا ومصالحها فكلما اصلحنا شيئاً يلوح لنا غيره فنشتغل باصلاحه وهذا هو معنى الحديث الشريف (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) . يجب ان يبدأ كل منا بالرجوع عن كبائر ذنوبه وبمعالجة اسوء اخلاقه . وهذه العظام لا تحتوى على احد منا . الحلال بين والحرام بين . وانما يجهل الكثير من الناس الشبهات . ولا يتيق الشبهات الا من اتقى الفواحش والمنكرات . (لها بقية)

باب التربية والتعليم

قرر مجلس ادارة جمعية شمس الاسلام باتفاق الآراء انتداب هذا العاجز منشىء المنار لالقاء دروس دينية في الاجتماع العمومي الاسبوعي للجمعية فتلقيت أمر المجلس بالامثال بل اديت فرضاً علي لامي وملتي وكان القاء الدرس الاول في ليلة الاثنين الماضية . وبعد الفراغ منه اقترح علي وكيل الرئيس ان اشرف ملخص هذه الدروس في المنار ليكون تذكرة للاخوان وايتنفع به من لم يحضره لاسيما شعب الجمعية في خارج القاهرة . ورأيت الحاضرين ارتاحوا لهذا الاقتراح فتلقيته بالقبول وهاؤم اقرؤا ملخص الدرس الاول

﴿ الدرس الاول - تمهيد ومقدمات ﴾

ابتدأت بالبسملة والحمدلة والتصلية والدعاء ثم قلت

(١) الدين - لم يبق سمع لم يطرقه الكلام . في الشكوى من حال الاسلام . وان علاج ما نحن فيه من البلاء المبين هو الاخذ بتعاليم الدين . مقتفين آثار اسلافنا الاولين . فما هو الدين ؟ عرف الدين علماءنا بانه وضع الهي